Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

«كلّ شبهٍ رجع إلى وصفٍ أو هيئةٍ من شأنها أن تُرى وتُبصر أبداً، فالتشبيه المعقود عليه نازلٌ مبتذلٌ. وما كان بالضدّ من هذا، وفي الغاية القُصوى من مخالفته، فالتّشبيه المردود إليه غريبٌ نادرٌ، بديع. ثم تتفاضل التّشبيهات التي تجيء واسطةً لهذين الطرفين بحسب حالها منهما. فما كان منها إلى الطّرف الأوّل أقرب، فهو أدنى وأنزل، وما كان إلى الطرف الثاني أذهب، فهو أعلى وأفضل، وبوصف الغريب أجدد» (المصدر نفسه، ص١٥١). والقاعدة في هذا كلّه هي إيجاد الائتلاف في الأشياء المختلفة، أو هي بتحديد أدق: «شدة ائتلافٍ في شدة اختلاف» (المصدر نفسه، ص١٣٦، ١٤٠).

ويعلّل الجرجاني الأسباب التي تبعث على الإعجاب باللّغة المجازية، فيقول إنّ الطّبع مبنيٌّ على أنّ الشّيء إذا ظهر من مكانٍ لم يُعهد ظهوره منه، وخرج من موضعٍ ليس بمعدنٍ له، كانت النّفس أكثر إعجاباً به، وأكثر شغفاً» (المصدر نفسه، ص ١٨٨).

- ٧ -

لكن، كيف نعرف مزيّة الكلام الشعريّ؟ كيف نكتشف وجه الدقّة في صَنْعته، «ومكانَ الحذْق، وموضعَ الأستاذية» كما يعبّر الجرجاني؟ للإجابة عن هذا السّؤال، يشير الجرجاني إلى أنه «ليس بين الخفايا والمشكلات أغرب مذهباً في الغموض ولا أعجب شأناً من المزيّة، ولا أكثر تفلّتاً من الفهم. وما قاله العلماء والبلغاء في صفتها، رموزٌ لا يفهمها إلاّ من هو في مثل